

كتابه

نشرت «الخبار» أمس حلقة أولى من الكتاب الجديد لسفير لبنان السابق في واشنطن الدكتور عبدالله بوحبيب «أميركا القيم والمصلحة، نصف قرن من السياسات الخارجية في الشرق الأوسط». يتناول الكتاب مراجعة للسياسة الأميركية في دول الشرق الأوسط، ومن بينها لبنان، طوال نصف قرن خلت منذ عهد الرئيس ريتشارد

نيكسون وصولاً الى عهد الرئيس باراك اوباما، مع خاتمة تعرض قواعد السياسة الخارجية للرئيس الحالي دونالد ترامب. لكن مع استفاضة في تحديد معالم سياستي الرئيسين جورج بوش الابن واوباما، والخيارات والقرارات ومظاهر النجاح والفشل التي رافقتها. حلقة أمس اضاءت على الظروف التي رافقت إقرار القرار 1559 والدور

«نصف قرن في سياسة أميركا الشرق أوسطية» لعبدالله بوحبيب [2]

الأميركي في عدوان تموز 2006، فيما تتناول حلقة اليوم علاقة الرئيس باراك اوباما بالسياسة التي ترجحت بين طرفي التحالف والصداقة، لكن مشوبة بكثير من التناقض والتنافر. اوباما، في نهاية ولايته الأولى، توصل الى عدد من الاستنتاجات حيال العالم، وخصوصاً الشرق الأوسط، ودور أميركا فيه. منها: أن الشرق الأوسط لم

باراك أوباما: السعودية حلفاء أم أصدقاء؟



اندونيسيا في تسعينات القرن الماضي. مؤل السعوديون المدارس الدينية الوهابية بشكل كبير، وهي معاهد تُدرس التفسير الأصولي في الإسلام والتي تفضّلها العائلة السعودية الحاكمة». اضاف اوباما ان الإسلام اليوم في اندونيسيا أكثر تشدداً من الإسلام عندما كان هو يعيش هناك (في منتصف ستينات القرن الماضي). تساءل تيرنول: «ليس السعوديون اصداقاً؟».

«الامر معقد»، اجابه اوباما.

يضيف غولديبرغ: «غالباً ما سمع المرء في البيت الابيض خلال عهد اوباما مسؤولين في مجلس الامن القومي يذكرون الزوار بأن الغالبية العظمى من خاطفي الطائرات في 11 ايلول 2001 ليسوا إيرانيين، انهم سعوديون. حتى الرئيس نفسه يهاجم التمييز ضد النساء في السعودية الذي تجيزه الدولة، مشدداً على ان لا دولة يمكنها ان تنهض في العالم الحديث عندما تمارس القمع على نصف سكانها». يضيف في الموضوع نفسه: «يمكن المرء قياس نجاح مجتمع ما من خلال كيفية معاملته نسائه».

يعود الرئيس في السياسة الخارجية قصير. إذ خدم أقل من أربع سنوات في مجلس الشيوخ الفيدرالي من كانون الثاني 2005 الى تشرين الثاني 2008. غولديبرغ انه قال لاوباما مرة انه لاحظته في مؤتمر صحفي في واشنطن في 11 ايلول 2002، معارضاً للحرب على العراق، وكان عضواً في مجلس شيوخ ولاية إلينوي (1997 - 2004). قال ذلك العام مخاطباً الرئيس جورج بوش الابن، في مسيرة حاشدة في شيكاغو مناهضة للحرب على العراق: «أنت تريد حرباً؟ دعونا نتأخّر أولاً لتتأكد من ان حلفائنا المرغوبين في الشرق الأوسط (السعوديين والصريين) يتوقفون عن قمع شعبيهم، وقمع المعارضة، ويكافحون الفساد وعدم المساواة». كان ذلك خطاباً غير معتاد لظاهرة مناهضة للحرب على العراق، خصوصاً وان اوباما كان مجهولاً على الساحة الوطنية.

ذكر جيفري غولديبرغ في مقاله في مجلة «الانتيتيك»، في نيسان 2016، عن السياسة الخارجية لاوباما واصفاً اياها بـ «محاولة كثيرة عن تشكيك في استمرار الدعم الأميركي للسعودية، بتكرار مثلاً حديثاً بينه وبين رئيس حكومة اوستراليا وقتذاك مايك كوم تيرنول، خلال اجتماعات مؤسسية «التعاون الاقتصادي لسول آسيا والمحيط الهادئ»، في مايل في الفلبين عام 2015. كان الكلام عن اندونيسيا حينما وصفها اوباما تنتقل تدريجاً من استناد تدريدي وتوافقي في اسلام أكثر تشدداً لا يتسامح مع تفسيرات مختلفة، وان اعدادا كبيرة من النساء الاندونيسيات اعتمدن الحجاب الآن. فسّر اوباما ذلك التطور بـ «ان السعوديين، وغيرهم من العرب في الخليج، نسخنوا الاموال وعدداً كبيراً من الأئمة والمعلمين الى

ولا الشرق الأوسط. هذه هي القبلية بعينها، وهي قوة لا يستطيع اي رئيس اميركي ازالتها او اضعافها حتى. القبلية، التي تظهر بوضوح في عودة مواطني الدولة الفاشلة الى الطائفة والعقيدة والعشيرة والقرية، مصدر الكثير من مشاكل الدول الإسلامية في الشرق الأوسط، ومصدر آخر للقدرة». في موضوع مشابه، يقول غولديبرغ انه سال اوباما ماذا كان يأمل في تحقيقه من خلال الخطاب الذي القاه في القاهرة عام 2009، فأجابته انه كان يحاول «من دون نجاح اقناع المسلمين بفحش جنود التعاسة اسرائيل، مع اننا مصممون على ان نعمل لتحقيق الدولة والكرامة للفلسطينيين، لكنني كنت امل في ان يؤدي خطابي الى اشارة نقاش يمكن ان يخلق مساحة للمسلمين لمعالجة المشاكل الحقيقية التي يواجهونها - مشاكل التوكلية. هناك تجارات في الاسلام لم تمر في عملية اصلاح تساعد الناس على تخفيف عقائدهم الدينية مع الحداثة. كنت افكر في اقتناعهم بأن الولايات المتحدة لا تقف في طريق هذا التقدم، واننا سنساعد، بأي طريقة ممكنة، على دفع اهداف القوى في الشرق الأوسط. يروي حياة أفضل للناس العاديين في البلدان تلك».

اوضح اوباما في حديثه لغولديبرغ ان جزءاً من مهمته كرئيس للولايات المتحدة احض الملبان الأخرى على اتخاذ اجراءات بانفسهم، بدلاً من انتظار قيادة الولايات المتحدة». الدفاع عن النظام الدولي الليبرالي ضد الارهاب الجهادي والغامرات الروسية والبلطجية الصينية يعتمد في جزء كبير منه، كما يعتقد، على استعداد الدول الأخرى لتقاسم العبء مع بلاده.

في حديث آخر مع كاتب المقالة في أثناء زيارة تايلاند، لفته الى ان قيادات دول آسيا وأميركا اللاتينية وأفريقيا يسألونه، عندما يجتمع بهم، مساعدة بلدانهم على رفع مستوى المعيشة وزيادة العمالة، فيما قيادات الشرق الأوسط يبحثون معه في الخلافات القبلية بعضهم مع بعضهم، وفي سبل التغلّب على منافسيهم، توصل في نهاية ولايته الأولى الى عدد من الاستنتاجات حيال العالم، وخصوصاً الشرق الأوسط، ودور أميركا فيه. منها: أولاً، لم يعد الشرق الأوسط مهماً للمصالح الأميركية بسبب الاحتفاه الذاتي في حقل النفط.

ثانياً، لو كان الشرق الأوسط مهماً على نحو كبير، سيكون ثمة القليل الذي يمكن اي رئيس اميركي القيام به لحلّه، مكاناً أفضل. ثالثاً، الرغبة الفطرية الأميركية في اصلاح كل انواع المشاكل التي تظهر أكثر حدة في الشرق الأوسط، تؤدي حتماً الى الحرب، التي مقتل جنود انتخب باراك حسين اوباما رئيساً



وصول اوباما الى مكة المكرمة مع العائلة المصلحة المشتركة مقابل القبع المختلفة، التي كانت قائمة مع السعودية (الربيع)

للولايات المتحدة من دون ان تكون للولايات المتحدة وقوتها حول العالم. أيضاً عام 1992 في معركة الانتخابات الرئاسية بين جورج بوش الاب وبيل كلينتون. كتب الصحافي والباحث دافيد اوتاوي في صحيفة «واشنطن بوست» مقالاً طويلاً عن علاقة السفير السعودي وقتذاك، بندر بن سلطان، بالبيت الابيض. ومن دون تدخل اميركي متتافقم تلك المشاكل، ما يعني تراجع مكانة الولايات المتحدة وصدقيتها في المنطقة. تلك غير ان هذا المنطق بحسب اوباما، اوصلها الى حرب فيتنام. يضيف احد مستشاريه «ان ذلك يعني ابقاء الولايات المتحدة منغصة في أزمتا الشرق الأوسط، وان الرئيس اوباما يتخذ موقفاً معاكساً من ذلك التوسيع المفرط في الشرق الأوسط سيضر في نهاية المطاف بالاقتصاد الأميركي وقدره الولايات المتحدة على البحث والتعامل مع التحديات الأخرى حول العالم. ان ذلك يعرض حياة الشباب الأميركي للخطر. كل ذلك ليس في مصلحة الامن القومي الأميركي». انتخب باراك حسين اوباما رئيساً

ولدا لم ير الرئيس الليبرالي سياسياً واجتماعياً، اي نوع من الحاجة الى السعودية والعائلة المالكة فيها اقتصادياً. غير ان العلاقات التاريخية بين البلدين التي انطلقت عام 1945 من اجتماع الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت بملك السعودية عبدالعزيز بن سعود، حملته على ان يحافظ على حد ادنى منها بين الدولتين، معتبراً ان انتقاده المملكة هو مصلحة العائلة الحاكمة. لا يمكن النظام السعودي الاستمرار في هذه الحال طويلاً في ثمة اربع قضايا رئيسية مشتركة كانت تجتد باستمرار بين ادارة اوباما والنظام السعودي: سياسته الشرق اوسطية، ايران، سوريا، اليمن. اما مسيرة السلام بين الفلسطينيين واسرائيل، فوافقت دول الخليج العربي الاهتمام بها منذ النصف الثاني من العقد الاول، كما ذكرت كوندوليسا رايس في مذكراتها. السؤال الاول من وزراء خارجية دول الخليج، عندما كانوا يجتمعون بها، عن مسيرة السلام. توقف ذلك مع بداية عام 2007 وازدياد «الخطر الإيراني والأصولي» على العراق الذي حمل جورج بوش الابن على زيادة عديد القوات الأميركية في تلك البلاد.

حتى وصول اوباما الى سدة الرئاسة كانت المعادلة مع السعودية كالتالي: المصلحة المشتركة في مقابل القيم المختلفة. انكسرت المعادلة تلك عندما وصلت أميركا الى الاكتفاء الذاتي في قطاع الطاقة، وحصل ذلك عند وصول رئيس اميركي متحزب من المصلحة ويؤمن بقوة بمبادئ حقوق الانسان وحكم القانون وشفافية الدولة. لذلك كله كان الخلاف حتماً بينه وحكام المملكة العربية السعودية.

خلاف اساسي مع السعودية كان حول ايران، مع ان موقف اوباما لم يختلف عن موقف سلفه. كان هدف بوش الابن منع الجمهورية الاسلامية، بالوسائل الدبلوماسية والاقتصادية والمالية، من امتلاك السلاح النووي. لم تكن لديه خطط احترافية او طارئة لضربها وتدمير مفاعله النووية متى فشلت السبل الدبلوماسية. استمر اوباما في السياسة ذاتها التي اتبعها بوش. من خلال مجلس الامن استطاع فرض عقوبات صارمة على ايران أقوى من تلك التي فرضت خلال عهد سلفه، ما حملها على تغيير اتجاهها في الانتخابات الرئاسية عام 2013، فانتخب «الليبرالي» الشيخ حسن روحاني رئيساً للجمهورية، واصبحت المحادثات بينها والدول الخمس زائداً واحداً جدية، وتوصل الاطراف الى اتفاق بمنعها من تطوير صناعتها النووية. لم يعجب الاتفاق والسعوديين وبعض دول الخليج التي كانت تخشى ان يؤدي رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران، في مقابل القيود المفروضة على برنامجها

النووي، التي تقوية امكاناتها المادية والسياسية، ويشجعها على ان تكون أكثر تحركاً في المنطقة العربية. اجتمع الرئيس الأميركي بقيادة دول الخليج الست في كامب دافيد في ايار 2015 قبل التوقيع النهائي على الاتفاق النووي مع ايران في تموز. حاول طمانتهم الى ان الولايات المتحدة لا تزال حليفاً ثابتاً لهم، ولن تسمح لإيران بتوسيع هيمنتها، وهي تضمن أمن دول الخليج بحسب الهيكلية الأمنية التي وضعت في عهد جيمي كارتر عام 1980. تعهد تعزيز التعاون الأمني مع دولهم في مجال مكافحة الازهاج والامن البحري والامن السيبراني والدفاع ضد الصواريخ الباليستية. كذلك وعد القادة الخليجيين بتلبية حاجاتهم الدفاعية اياً تكن. رغم تأكيد المرشد الأعلى الإيراني السيد علي خامنئي ان لا محادثات مع واشنطن حول القضايا العالقة الاخرى، من ثم جزم واشنطن بذلك، بقي التوتر بين اوباما والسعودية على حاله. لاحقاً، بعدما طال امد حرب المملكة وحلفائها على اليمن، ورغم الانقذ الأميركي الرسمي والاعلامي السعودية، دعمتها ادارة اوباما فيها منذ اندلعت هذه الحرب ربيع 2015، فزودتها بالسلاح والتخيرة والعلوم والوجسنتية من خلال الاقمار الاصطناعية حتى الاشهر الأخيرة من وجود اوباما في البيت الابيض، حينما توقفت المساعدات بسبب تكرار الطيران الحربي السعودي قصف اهداف مدينة في اليمن، تسببت في وقوع اصابت كبيرة من المدنيين من الاطفال والنساء والجنز.

ورد في الاعلام ان الرئيس تساعل في اجتماعه بالقيادة الخليجيين في كامب دافيد عن سبب قوتهم من صاعقاً: غياب المواطنة الحقيقية في بلدانكم واستمرار بعض الدول العربية في التمييز بين مواطنيها على اسس طائفية ومذهبية وثنية وقبلية، يسمح لإيران وغيرها من الدول الإقليمية بالتدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول. رض الصف الداخلي وتحقيق المواطنة الحقيقية يمنع التدخل الخارجي من اي طرف.

* الحلقة الأخيرة غداً. بل كلينتون: الأسد الذي لا يؤق. ** يوقع السفير السابق في واشنطن الدكتور عبد الله بوحبيب كتابه «أميركا القيم والمصلحة: نصف قرن من السياسات الخارجية في الشرق الأوسط» الأحد المقبل، في إطار المهرجان اللبناني للكتاب في مقر الحركة الثقافية في انطلياس.

بين الرئيس والدولة

لم تختلف ظاهرياً المواقف السياسية بين واشنطن والرياح النسبية الى سوريا. اراد كل من اوباما وملك عبدالله رحيل بشار الاسد. كلاهما لا يحدت تغييراً في النظام، رغبا في الحفاظ على وحدة القوات المسلحة والانارة بعد رحيله. كلاهما تعلم من تجربتي العراق وليبيا ان الانتقال السلمي للسلطة يمنع الفوضى، ولذا اراها

اصدقاونا في الخلب ليست لديهم قدرة على اطفاء الحرائق اوان يربحوا بشك وحدهم

اطاحة الاسد وبقاء الدولة. بينما ارادت السعودية رحيل الاسد بأي ثمن. كان اوباما متشامماً بإمكان حصوله. كما ورد في مقالة غولديبرغ في مجلة «المنتيتيك»، ان الرئيس اعتقد انه لا يمكن ثوار من الفلاحين والحرفيين والمهنيين هزم جيش منظم ومدعوم من دولتين. قويتين هما ايران وروسيا.

الثان لهما مصالح كبيرة هناك. مع ذلك، وافق على اقتراح سعودي بتدريب قوات الجيش السوري الحر في الاردن، بالتعاون مع الرياض. سرعان ما تبين عدم انضباط ذلك الجيش واقفاره الى ولا، جزء كبير من عناصره لقيدهم. الخلاف الكبير بين اوباما والسعودية وقع عندما انتعج في الربيع الساعة الأخيرة عن قصف مواقع النظام السوري بعد اتهامه باستعمال السلاح الكيميائي. اعتبر النظام السعودي ان نهاية الاسد آتية مع قصف اميركي مماثل لما حدث للقذافي. كما روى غولديبرغ، ابلغ السفير السعودي لدى واشنطن وقتذاك عامل الجبير الى رؤسائه في الرياض حتمية الضربة الأميركية لنظام الاسد. قرار اوباما عدم قصف مواقع النظام السوري بدا صفة قوية للسعودية التي قادت الدعم المالي في الحرب على الاسد. كان ذلك في 30 ايار 2013.

من بعدها لم تسوّ العلاقة بين الرئيس الأميركي والعائلة السعودية الحاكمة، بل تقاضمت مع توسع مجموعة الدول الخمس زائداً واحداً مع ايران الى اتفاق حول برنامجها النووي عام 2015.